كتاب في فتن آخر الزمان وما يحدث فيه

الباب الأول: في أشراط الساعة.

الباب الثاني: في حوادث آخر الزمان.

الباب الثالث: في وقت تمني الموت.

الباب الرابع: في قوله ﷺ: «الأخير شر».

الباب الخامس: في أحوال الناس.

الباب السادس: في خبر عاد وثمود.

الباب السابع: في الوقائع والعظائم.

الباب الثامن: في فتنة الخوارج.

obeikandl.com

الباب الأول

في أشراط الساعة

لما حج النبي ﷺ حجة الوداع أخذ بحلقة الكعبة، وقال: «أيها الناس إنـــي محدّثكم بأشراط الساعة، فاسمعوا ألا إن من أشراط الساعة ستين خصلة، قيل: ما هن يا رسول اللّه؟ قال: إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الهـــوى، وإضاعة الأمانة، واستحلال الحرام، وأكل الربا، وأخذ الرشا، وتـــشييد البنـــاء[١]، وبيع الدين بالدنيا، وقطيعة الرحم، وبيع الحُكْم، وكثرة الشُرَط[٢]، وإمارة الصبيان، واتخاذ القِيَان[٣]، وجلود السباع لباساً، وظهور الجور في كل بلدة، ويكثر الطلاق، ويفشو الزنا، ويخوَّن الأمين، ويؤتمن الخائن، ويكثر البهتان وشـــهادة الـــزور، ويكون المطر قيظا[٤]، والولد غيظا، وتمنع الزكاة، وتدمن الخمر، ويكون في ذلك الزمان أمراء فسقة، ووزراء خونة، وعرفاء كذبة، وقراء فجرة، وعلماء دهنـــة. وتجار خونة، وتحلى المصاحف، وتزين المـــساجد، وتطـــوَّل المنـــارات، وتكثـــر الأمراء، وتقل الفقهاء وتكثر الخطباء، وتقل الأمناء، وتكثـــر الفقـــراء، وتـــنقض العهود، وتعطل الحدود، وتتخذ القينات والمعازف، وتنقص الميزان والمكيال، وتلد الأمة ربتها[٥]، وتشارك المرأة في تجارة زوجها، وتتشبه النساء بالرجال والرجال

---

(١) أي: أن تجد العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان. كما ورد في حديث آخر.

(٢) أي: الشرطة، فيكثر اتخاذها وتتضاعف أعدادها في البلدان لكثرة المظالم وتغلـــب الحكـــام واستئثارهم بالحكم ظلمًا وجورًا.. إلخ.

(٣) القِيَان: جمع (قينة)، وهن الإماء اللاتي يغنين، ويقال على كل امرأة: أمة الله.

(٤) أي: ينزل وقت القيظ أي: الحر.

(٥) أي: سيدتها. قيل: تكثر الحروب فتسبى النساء ويلدن، ثم تبعن إلى أن تملكهن يوماً إحدى بناتهن اللاتي ولدنهن. وفي معناه: أن تصير البنت لأمها كالسيدة تعاملهـــا معاملـــة الأمـــة بالتعجرف والكبر والشدة، وهو حاصل اليوم في عصرنا هذا، كما أن ما قبلـــه حـــصل فـــي عصور سابقة، فصدق رسول الله ﷺ.

بالنساء، ويسلم للمعرفة، ويشهد من غير أن يُستشهد[١]، ويتفقه لغير العبادة، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، والكافر والظالم فيهم عزيز، والمنافق والفاسق فيهم قوي، والجاهل فيهم شريف، والمؤمن التقى فيهم ضعيف ذليل يذوب قلبه كما يذوب الملح في الماء من كثرة المنكر لا يستطيع تغييره، أكيسهم في ذلك الزمان من يروغ بدينه روغان الثعلب» - أعاذنا الله وإياكم، ونجّانا من فتن آخر الزمان، والله الموفق.

الباب الثاني

في حوادث آخر الزمان

قال النبي ﷺ: «سيأتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، تنزع الرحمة من قلوبهم، وتقل مكاسب الحلال ويكثر الحرام، ويمنعون الزكاة، وتفشو الزلازل، وتسلب الأرامل، وتسلط السباع على الناس حتى يتحصنوا في المدائن والقصور، ثم يكون قذف ومسخ وخسف، وتظلم الشمس نصف النهار فيظلم الله عليهم حتى يموت نصف الإنس ونصف الجن، ثم فتنة الدجال، ثم لا يولد مولود، ثم تمطر السماء بِبَرَدٍ[٢] كبيض النعام، وتظهر العلامات، وتصير السنة كالشهر والشهر كاليوم، واليوم كالساعة».

ومن علامات الساعة انتفاخ الأهلة، وهو أن يرى ليلته كأنها ليلتان، ولن تقوم الساعة حتى يفتح الله قسطنطينية على يدي أمتي، ولا تقوم الساعة حتى

---

(١) ففي الحديث: «شر الشهداء من يشهد قبل أن يستشهد». لأنه يسابق بالشهادة زوراً ليقتطع بها حقوق الآخرين لغيره. وفي حديث آخر «خير الشهداء من يشهد قبل أن يستشهد» لأنه يسارع إليها حيث لا ناصر ولا شاهد للمظلوم فينصره ويدلي بشهادته نصرة له وللحق.

(٢) البَرَد: الثلج المجتمع الأجزاء.

يلتقي الشيخان الكبيران يقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمان طلعت الشمس من مغربها، ولا تقوم الساعة حتى يكون للخمسين امرأة قَيِّم واحد[١]، ولا تقوم الساعة حتى يرتفع الركن والمقام، ولا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون قوما وجوههم كالمَجَانّ المُطْرَقَة صغار الأعين خنس الأنوف[٢]، واللّه المستعان وبه التوفيق.

الباب الثالث: في وقت تمنّي الموت

قال النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم خمسا فليتمنّ الموت: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، والاستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، وقوم يتخذون القرآن مزامير». وهذا خبر مهيب وله سر عجيب، ومعنى الخبر: إذا كان أحدكم في حالة من أحد هذه الحالات الخمسة فليذكر الموت وليتمنه، فبطن الأرض خير له من ظهرها، وهذا كقول النبي ﷺ: «من استوى يوماه، فهو مغبون، ومن كان غده شر يوميه فهو ملعون، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له من الحياة». وكذا من كان أميرا على قوم متبعا لهواه يفعل ما يشاء غير ملتفت إلى الشرع فهو في خسران مبين، ومن كان عوانيا شرطيًا فهو شقي لأنه باع الآخرة بدنيا غيره، ومن استخف بالدم فاللّه خصمه، وعليه لعنة اللّه والملائكة والناس لأنه هدم بنيان اللّه[٣]، ومن قطع الرحم فقد استوجب من اللّه المقت واللّه أعلم.

---

(١) أي: يقوم على رعايتهن رجل واحد؛ لكثرة الحروب والقتلى فيها.

(٢) المجان: جمع (مِجن)، وهي الترس يتقى به في القتال، والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، وهو أخنس، وهي خنساء، وهذه هي صفة أهل الصين ومن شابههم، والله أعلم بالمراد.

(٣) وفي الحديث: «ولدَمُ امرئٍ مسلمٍ أشد حرمةً عند الله منك» يعني: من الكعبة المشرفة.

الباب الرابع

في قوله صلّى اللّه عليه وسلم: «الأخير شر»

ومعلوم عند العقلاء أن شعائر الإسلام في هذا الزمان أظهر، والكفار أذل، وشعائر الإسلام من الصلوات الخمس والجمعات، وقراءة القرآن، والمحاريب والمساجد في زماننا أكثر، إذ النبي ﷺ خرج من الدنيا والإسلام لم يبلغ غير جزيرة العرب، وعمر بن عبد العزيز الذي شُبِّه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لعدله وأمانته، فقيل: عدل عمر بن عبد العزيز كان بعد الحَجَّاج، والشافعي وأبو حنيفة كانا بعد المائة، وفتح البلاد وقع في آخر الزمان فكيف يكون الأخير شرا؟ فأقول وباللّه التوفيق: تأويله والعلم عند اللّه تعالى الأخير شر بموت العلماء وانقراض الفضلاء واختزام الفقهاء يذهب الصالحون، ولم يَعْنِ النبي ﷺ أن الزمان يتغير في صورته بل أراد يذهب العلماء، ويبقى الجهال، وتندرس أعلام الدين، قال اللّه تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ [الرعد: ٤١] قيل في التفسير: بموت العلماء[1] والدليل على هذا التأويل قول عبد اللّه بن مسعود: لا يأتي على الناس عام إلا والذي بعده شر منه قالوا: يأتي علينا العام نخصب فيه، قال: إني واللّه ما أعني بخصبكم ولا جدبكم، ولكن ذهاب العلماء والعلم قد كان قبلكم عمر ما رأى العالمون مثله فإنه لطيف.

---

(١) وفي الحديث أن من علامات الساعة: «ولا يزال الخلق في نقصان»، فهو يدل على النقص الحسي في الأجساد، وعلى النقص المعنوي في علم العلماء وتقوى الأتقياء، والبركة الموضوعة بين الناس..، والله تعالى أعلى وأعلم.

الباب الخامس

في أحوال الناس

قال النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء الناس للنزهة وأوساطهم للتجارة، وقراءهم للرياء والسمعة، وفقراؤهم للمسألة»، وقال: «يأتي على الناس زمان لا يسلم الرجل على الرجل إلا بمعرفة، ويمر الرجل بالمسجد ثم يخرج ولا يصلي فيه»، وقال: «يأتي على الناس زمان يقال للرجل: «ما أظرفه وأما أعقله وما أجلده، وما في قلبه من الإيمان ما يوزن بخردلة»، وقال: «يأتي على الناس زمان يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر ولا يستطيع تغييره»، وقال: «يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدكم جَرْوَ كلبٍ أو خنزير خير له من أن يربي ولدًا من صلبه»[1]، وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان إلههم بطونهم، شرفهم متاعهم، قبلتهم نساؤهم، دينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئك شر الخلائق»، وقال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه من الحرام أو من الحلال»، وقال: «يأتي على الناس زمان لابد للرجل من الدينار والدرهم يقيم بهما دينه ودنياه»، وقال: «يأتي على الناس زمان يكون السلطان كالسبع، ومَنْ قَبْلَه كالذئب، ومَنْ قَبْلَه كالثعلب، ويكون المسلمون كالشاة فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب»، وقال: «يأتي على الناس زمان الموت أحدب إلى أحدهم من الذهب الأحمر»، وقال: «يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة»، وقال: «في آخر الزمان منافقون؛ منافق غني بينهم أحب إليهم من مؤمن فقير، وقال: «يأتي على الناس زمان لا يسلم الذي دَيَّنَ دينَه إلا أن يكون مستندًا إلى منافق» أعاذنا الله من هذا الزمان وفتنه فإنه ولي ذلك.

---

(١) وهذا حاصلٌ اليوم في بلاد الغرب وأوروبا.

الباب السادس

في خبر عاد وثمود

من عجائب الزمان دفينة الكنوز بحضرموت وجدوا كوزًا في جوفه سنبلة حنطة قد امتلأ بها فوزنوها فكانتَ مَنًّا بالمكي[1] وحبها كالبيض، وبحضرموت شيخ قد أتى عليه خمسمائة سنة وله ابن قد أتى عليه أربعمائة سنة، ولابنه ابن قد أتى عليه ثلاثمائة سنة، فحملوا السنبلة إلى الابن الأصغر، وقالوا: هو أثبت الثلاثة عقلا، فكان قد خرف ثم انطلقوا إلى الأوسط فوجدوه أثبت عقلا منه ثم انطلقوا إلى الأكبر فوجدوه أثبت عقلا، فقيل له: هذا عجيب أنت أثبت عقلا من ابنك وابن ابنك! فقال: أما ابن ابني فكانت له امرأة سوء تؤذيه وتخالفه فذهب عقله بمقاساتها، وأما ابني فكانت امرأته تحسن مرة وتسيىء أخرى، وأما أنا فلي امرأة صدق إن رأتني حزينا فدتني، وإن رأتني مسرورًا تزدني، فلما نظر إلى السنبلة بكى، وقال: هذه من زرع ناس كرام ثم ذكر أخلاقهم، وأنه كان لهم قاضٍ مكث حولا لا يأتيه أحد يحتكم إليه، فقال للملك: تُجْرِي علي ولا يختصم إلي أحد فقال: أقم على عملك، فأتاه رجلان يختصمان إليه فقال أحدهما: اشتريت من هذا أرضا فوجدت فيها جَرَّة من الذهب، فسألته أن يرد علي مالي ويأخذ أرضه وذهبه فأبى، وقال الآخر: أيها القاضي إني بعت الأرض بما فيها، فقال القاضي لأحدهما: هل لك من ولد؟ فقال: لي ابن مُدْرِك، وقال الآخر: لي ابنة، فزوج ابنته من ابنه، وصالح بينهما، والله أعلم بالصواب.

---

(١) المَنُّ: يساوي (٧٧٣,٥) جرامًا. المكاييل والموازين، ص ٢٨.

الباب السابع

في الوقائع والعظائم

قال النبي ﷺ فيما رواه المقدسي في تاريخه[١] أنه يكون هَدَّةٌ في رمضان يموت فيها سبعون ألفا، ويكون خسف بالمشرق، ومسخ بالمغرب، وقذف بجزيرة العرب، وقالوا: الهدة في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان، ويصعق سبعون ألفا ويعمى سبعون ألفا، ويُصَمُّ سبعون الفا، ويخرس سبعون ألفاً، ويتفق[٢] سبعون ألف بكر ثم تكون مغمة في شوال، ويميز القبائل في ذي القعدة، ويغار الحاج في ذي الحجة والمحرم أوله بلاء وآخره فرح، ثم يكون موت في سفر ثم تتنازع القبائل في شهر ربيع الأول، ثم العجب كل العجب في جمادى ورجب قلوا: يا رسول الله، من يسلم من ذلك؟ قال: من لزم بيته، وتعوذ بالسجود من العظائم[٣] ثم خروج الحبشة، فيخربون الكعبة ومكة فلا تعمر الكعبة بعدها، ويستخرجون كنوز فرعون وقارون، فتجتمع المسلمون فيقتلونهم ويَسْبُونهم حتى يباع الحبشي بعباءة.

الباب الثامن

في فتنة الخوارج

جاء رجل أسود شديد السواد شديد بياض الثياب فقال لرسول الله ﷺ: وهو يقسم الغنيمة: والله ما عدلت منذ اليوم، فاغتم[٤] النبي ﷺ وقال: ويحك من يعدل

---

(١) هو أبو القاسم مكي بن عبد السلام الأنصاري المقدسي الشافعي، المتوفى سنة (٤٩٢)هـ، اثنتين وتسعين وأربعمائة. صنف تاريخ بيت المقدس. هدية العارفين – للبغدادي – ج٢، ص ٤٧١.

(٢) هكذا: (يتفق) في الأصل المطبوع قديمًا.

(٣) العظة: هي الشدة في الحرب. "القاموس المحيط".

(٤) في الأصل (فغب)، ولعل الصواب المثبت، والله أعلم.

إذا لم أعدل ثم قال لأبي بكر: اقتله، فمضى ثم رجع فقال: يا رسول الله وجدته راكعا ثم قال لعمر: اقتله، فمضى فلم يره، فقال النبي ﷺ: لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله عز وجل، وهو عبد الله بن وهب الرامي.

واشتدت الفتن فقال الخوارج: إن عليا ومعاوية أفسدا الأمر في هذه الأمة فلو قتلناهما عاد الأمر إلى حقه، فقال رجل من أشجع: والله ما عمر ودونهما لأصل الفساد، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي اللعين المطرود – أخزاه الله – أنا أغتال عليا وأقتله، وقال الحجاج بن عبد الله: أنا أقتل معاوية، وقال رجل من بني العنبس: أنا أقتل عمراً فجعلوا ذلك ليلة الحادي والعشرين من رمضان فتزوج ابن ملجم – لعنه الله – في الكوفة قطام بنت علقمة الخارجية قالت: لا أقنع إلا بثلاثة آلاف درهم، وعبد وأمة، وقتل علي بن أبي طالب، فإن سلمتَ أرحت الناس، وإن أصبتَ رحتَ إلى الجنة، وسبق إلى النار، وقال: هذا السيف أنحر به جزورا، فأخبر علي بذلك وبقتله، فقال: من يقتلني بعد، وقال: كيف أقتل قاتلي ثم ضربه[1] على صلعته، فقال أمير المؤمنين ﷺ: فزت ورب الكعبة، فتلقاه المغيرة ابن نوفل بقطيفة رماها عليه ثم عاش يومين، ومات ﷺ واختلفوا في قتل عبد الرحمن بن ملجم، فقيل: إنه سُمِلَ[2] وقطعت يداه ورجلاه وقتل، أما الحجاج بن عبد الله فضرب معاوية ﷺ مصليا فأصابه في مأكمه[3] فقطع منه عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك، فلما أُخِذ قال: الأمانَ والبشارةَ قتل علي في هذه الليلة ثم أتى الخبر معاوية فقطع يديه ورجليه، وأما العنبسي فلم يخرج عمرو ﷺ إلى الصلاة لوجع البطن، وضرب خارجة بن هصيص فقتله، فقال: أردت عَمْرًا وأراد

---

(١) صواب الكلام كما هو معروف: (كيف أقتل قاتلي ولم يقتلني بعد).
(٢) سمل: فقئت عيناه.
(٣) مأكمه: المأكَم والمأكَمَة، وتكسر كافهما: لحمة على رأس الورك، أو لحمتان وصلتا بين العَجُز والمتنين، جمعه مآكم. "القاموس المحيط".

الله خارجة، فقالت الخوارج:

يا ضربة من تقـي مـا أراد بهـا ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضـوانا
إنـي لأذكـره حينـا فأحـسبه ... أوفـى الريـة عنـد الله ميزانـاً[١]

فأجابه عمران بن حطان:

يا ضربة من لعـين مـا أراد بهـا ... إلا ليهـدم للإسـلام أركانـا
أضحى غـداة تعاطاهـا بـضربته ... مما عليـه مـن الإسـلام عريانـا
طورا أقول ابن ملعـونين مُلْتَقَطـاً ... من نسل إبليس بل قد كان شيطانا[٢]

بحمد خالق السماوات والأرضين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، قد تم طبعًا، وراق شكلاً ووضعًا، الكتاب الذي هو كاسمه (مفيد العلوم ومبيد الهموم) الجامع مع صغر حجمه ما تفرق في الأسفار الكبار، الحاوي من أجناس العلوم ما تقر بمطالعته أعين النظار، وذلك الطبع الميمـون الحريـز المـصون بالمطبعـة السعيدية الكائن مركزها بجوار الأزهر الشريف، وقد وافق التمام في أواخر شهر محرم الحرام من عام ١٣٤٥ من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

تم الكتاب

---

(١) البيتان من بحر البسيط.
(٢) الأبيات من بحر البسيط أيضا.

خاتمة الكتاب

تم كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم بحمد اللّه وعونه، وصلى اللّه على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك، ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدّ، صلاة لا غاية لها ولا انقضاء ولا أمد لها ولا انتهاء، صلاتك التى صليت عليه بها صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا، صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك لا انقضاء لها ولا انتهاء دون علمك، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كذلك، والحمد للّه على ذلك آمين[1].

قام بالتعليق والتنقيح والتقديم للكتاب

الأستاذ/محمد عبد الرحمن الشاغول

Email: ALRAWDA_SH@YAHOO.COM

المحمول: (٠١٢٠٣٨١٥٢٠)

(١) هذه الخاتمة موجودة بالطبعة الحديثة للكتاب، ولعلها من وضع المحقق، فإنها ليست في الطبعة القديمة للكتاب، وقد سقط من الطبعة الحديثة الأبواب الستة السابقة اعتباراً من الباب الخامس في أحوال الناس إلى الباب الثامن في فتنة الخوارج. انتهى.

obeikandl.com